العرب
الأربعاء 2021/08/25
السنة 44 العدد 12159

رسومات سورية يختلط فيها الكابوسي بالحلم المُبلسم

أرض الموت تُنبت الصبر والثبات في لوحات عمران يونس

كثافة لونية تجمع الصلابة والطراوة في آن واحد

صبّار صبور يدعو إلى الصراخ في وجه الوجع المتكرّر

قدّمت صالة "ميسيون دار" اللبنانية مؤخرا معرضا جديدا للفنان التشكيلي السوري عمران يونس، حيث توقّع كل مُطلع على عالم الفنان الكابوسيّ أنه سيرى المزيد من اللوحات المسكونة بتلك الآلام البشرية/ الدموية والفجّة التي لم تهدأ، غير أن زائر معرضه الجديد "قصة الصبّار" تعرّف هذه المرة على عالم ليس بجديد بقدر ما هو وليد عالمه الموغل في الكآبة بصيغة أقل سوداوية.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

عرض الفنان التشكيلي السوري عمران يونس خلال الصيف الحالي لوحات جديدة حملت عنوان "قصة الصبّار" احتضنتها صالة "ميسيون دار" البيروتية على امتداد شهر كامل.

> لوحات يونس الجديدة تخلو من الحضور الإنساني إلا عبر إيحاءات تذوب أطرافها في الخلفيات اللونية لنبتة الصبّار

معرض أتى في توقيت خاص واستثنائي جعل منه حالة وجودية/ بصرية تعكس الحالة اللبنانية بامتياز، حيث لا حرب ولا صراعات، بل صبر يكاد أن يكون لإنسانيا ليس فقط لشدّته، بل لأنه مقترن بسكون، لا بل "بخدر" شعب ينتظر فرجا عجائبيا ما دون أن يحرّك ساكن.

صبّار يُعاند الموت

من المعروف عن الفنان عمران يونس أنه ينتقل في موضوعاته الفنية من موضوع إلى موضوع، وهو رهن التبدّلات التي يعيشها وطنه وزمنه على السواء دون أن تكون تنقلاته تلك خارج أسلوبه الفني المجبول بالجمر والمختنق جرّاء الآفاق الموصدة.

وقد قدّم في معرض سابق له في بيروت مثالا مكثفا عن ماهية عالمه الفني وكيفية تطوّره، حيث أثبت الفنان أنه خرج من آتون مُرمّد، بأشكال ذائبة اكتسحت لوحاته وصارت مشحونة بحياة تُعاند الموت بشراسة، أو تنطلق كالصواريخ من أرض الانبعاث/ الموت.

اليوم تأخذ هذه المنبعثات أشكال الصبّار أو مقوّمات "شخصيته"، إذا صحّ التعبير، من حيث قدرته على مقاومة العطش وعلى العيش في ظروف بيئية صعبة، وأيضا من حيث قدرته على تأمين ظل نافع لباقي النباتات التي تجاوره وتقاتل لكي تحيا.

لوحات كثيفة لونيا، فيها صلابة وطراوة في آن واحد وتخلو من الحضور الإنساني إلاّ من خلال إيحاءات تذوب أطرافها في الخلفيات اللونية. ويخفت بشكل كبير التعبير الفجّ في اللوحات عن الواقع المأساوي وعن تأكيد رسوخ ملامحه وجذوره، إذ أسعفها ألق الصبّار الباطني وأزهاره الواعدة بما تحتاج لكي تبقى نضرة.

وقد عبّر الفنان عمّا يعنيه الصبّار بهذه الكلمات "الصبّار يدعو كل شيء للصراخ، وهذا يُظهر أنه حتى الأرض تأخذ حصتها العادلة من الدمار. لا شيء محصّنا، الحروب تطال كل شيء. لكن للصبّار رمزية عالية، فهو لا يُقاوم فقط لحماية ذاته، إنما يشكّل أيضا سياجا واقيا لنباتات أكثر رقة، يحتضنها كما تحتضن الأم أطفالها. أرسمُ الصبّار كما هو الحال بالنسبة إلى أي شيء أرسمه، كما أرسم وجوه الناس وهي تصرخ. يُظهر هذا تعقيد الحياة: جميلة ومريعة، صلبة وحسّاسة".

ربما تلك النبرة المُخفّفة للمأساة في لوحاته الجديدة ليست إلاّ تظهيرا لتكيّف تعلّمَه الفنان ووجده في الآخرين الذين يشاركونه هذه البيئة المتطلبة والصعبة جدا. هذا التوجه نراه أيضا في كلمات قالها سابقا وتختصر جانبا من نظرته إلى طبيعة الحياة، إذ قال "العنف ليس خيارا. العنف حالة مفروضة علينا، والطريقة التي يُفرض بها علينا تحدّد شكل مقاومتنا له. أنا أواجه العنف بالرسم، عملي الفني هو سلاحي في هذه المواجهة".

لم يبارح الفنان السوري تماما الأجواء التي تميل إلى الكآبة وإن رسم الخضرة أو النبات في لوحاته كما رسم صبّاره في هذا المعرض ناميا من الأرض، أو كحالة رمزية تعبّر عن الثبات والصبر والسكون الذي يصل في أكثر من لوحة حتى درجة الماسوشيستية تفشّت في أرجاء لوحته التواءات وانحناءات في الخطوط شبيهة بتشنجات عصبية وعضلية.

سيرة صمود وحياة

كما في كل معرض سبق وأقامه الفنان، يظهر "قديمه" وقد وصل إلى لوحاته الجديدة إن كتفصيل أو كعنصر أساسي. وهذا ما جرى تماما في معرض "قصة الصبّار" فقد حضرت بعض التفاصيل البارزة في لوحاته السابقة وصارت هي موضوع اللوحات: مشاهد يصعب تصنيفها بالـ"طبيعية" لكثرة ما هي مُحملة بالرموز وناطقة بما عرفته من مآس تخطّت مآسي الحروب لتصبح انعكاسا تراجيديا لأزمة وجودية عميقة صامدة في وجه الألم. تراجيديا امتدت منذ بداية الحرب السورية حتى نهايتها (هذا إذا كان لأي حرب عصرية في بلاد الشام نهاية لا تتناسل جراحا وخيبات).

الفنان لا يزال يعيش من خلال فنه أحلامه الكابوسية وإن بصيغة مُخفّفة كما عاش الحرب السورية على أرض الواقع. هو في معرضه الجديد يستعرض كما يعيش أمام ذاته وأمام الآخرين إفرازاتها السامة والمُبلسمة في آن واحد.

العلاقة العضوية بين ما قدّمه الفنان في معرضه السابق وهذا المعرض تكاد أن تكون دليلا مثاليا عن كيف يكون الفن التشكيلي سيرة شخصية ليس في "القصص" التي يسردها، بل في أجوائها اللونية وتشكّل خطوطها وأشكالها.

ففي معرضه الجديد تخلى الفنان عن شفراته/ ضرباته التي انهالت على حامليها وضحاياها في آن واحد. وكما كان متوقعا لها حينها، ذابت تلك الشفرات في سكون لوحاته العميقة الحالية، حيث حتى النسمات باتت ثقيلة بالكاد تحرّك "الأخضر" الغامق في لوحاته والذي قصد منه النبات.

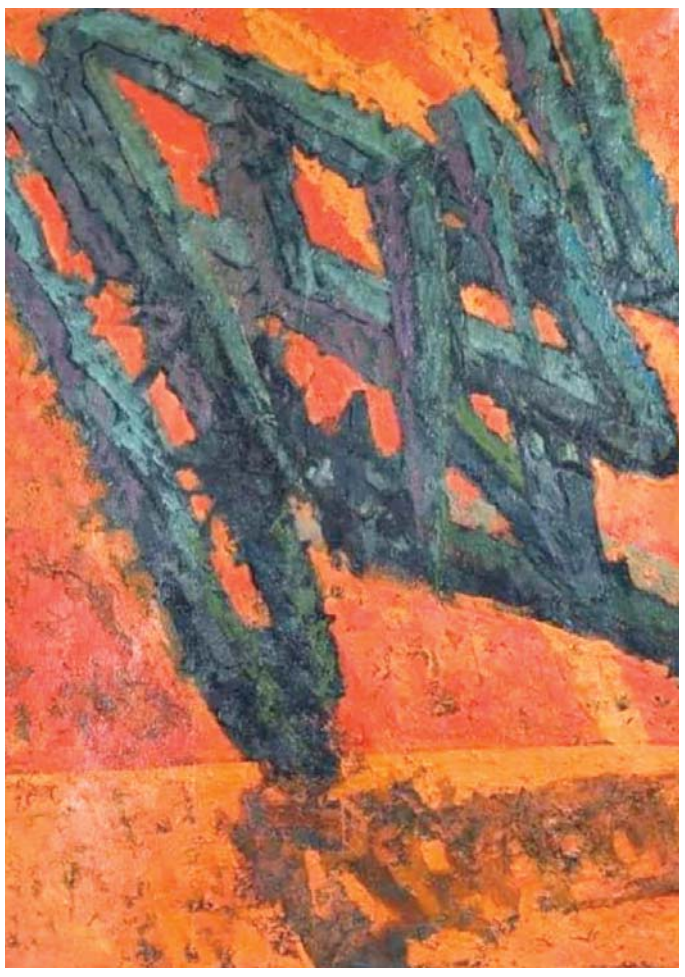

براعم ثابتة في أرض موحشة

الفنان السوري يتخلّى في معرضه الجديد عن سوداويته الموشحة ليفسح المجال لصبّاره للتعبير عن صموده الملهم

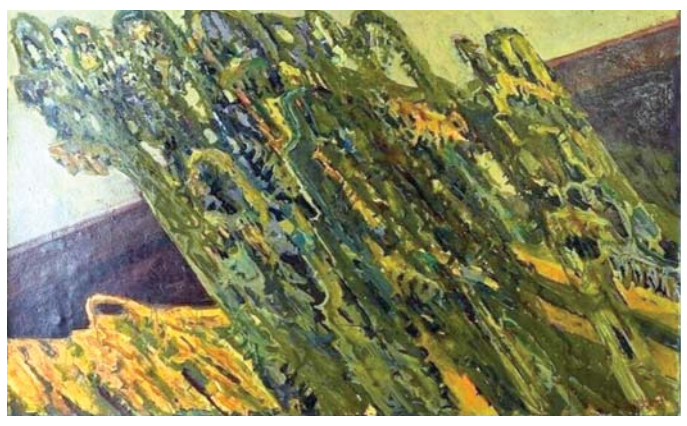

التواءات وانحناءات شبيهة بتشنجات عصبية وعضلية

أحمد الحوسني يصطاد بالكاميرا لحظات الفرح في مواسم الحصاد العماني

عمان - استهوى عالم التصوير الفوتوغرافي الفنان العُماني أحمد بن عبدالله الحوسني منذ صغره، فكانت الطبيعة ملاذا آمنا لجمال ألوانه، لترصد عدسته أول التقاطة له عند عودته مع إخوته من المدرسة، وكان حينها في الرابعة عشر من عمره.

ومن يومها انطلق الفوتوغرافي الشاب في عالم الإبداع لتتوّج إنجازاته بجائزة السلطان قابوس للعمل التطوعي لتعليم التصوير في مركز رعاية الطفولة في العام 2019، كما حصد العديد من الجوائز على المستويين المحلي والدولي، منها سبع ميداليات عالمية من الهند وإنجلترا والصين، وشارك في أكثر من أربعين معرضا دوليا وخمسة عشر معرضا محليا.

وقال الحوسني عن بداياته في عالم التصوير الفوتوغرافي "التحقتُ بجماعة التصوير الفوتوغرافي في مدرستي، وفي ظل التشجيع الذي كان يبديه لي الجميع زاد شغفي بعالم الفوتوغراف الذي كنت أجدُه مختلفا، وبعد أن فرغت من المرحلة الثانوية بدأت الرحلة من خلال اقتنائي هاتفا ذكيا، فكانت الطبيعة من حولي تساعدني على الإبداع".

وأضاف "وجدت في محافظة الخابورة، أين ولدت وترعرعت، الكثير من الكنوز الطبيعية، فانطلقت أشقّ عالمي بالمزيد من الشغف والاهتمام، وشعرت بأن الكل يدعمني بالتشجيع، وداعمي الأول الجمعية العمانية للتصوير الفوتوغرافي، التي لها الفضل في فتح آفاق متعدّدة لموهبتي التصويرية، وكنت حريصا على اقتناء عدسة رقمية أدخل من خلالها إلى عالم التصوير والالتحاق بالدورات لتنمية موهبتي وصقلها".

ويتنوّع شغف الحوسني بين الصور الفوتوغرافية وتصوير الفيديو، وعن ذلك يقول "تخصّصت في البداية في التصوير الفوتوغرافي، ولكني وفي السنوات الأخيرة أصبحت أكثر ميلا إلى تصوير الفيديوهات".

ويوضح الفوتوغرافي العماني أن الصور التي يلتقطها يشعر بأنها جزء منه وتمثل إلهامه، لكن صور موسم الورود والجبل الأخضر هي الأقرب إلى قلبه، خاصة صورة الشابة العُمانية التي تحمل سلة مملوءة بالورود، والتي نشرتها مجلة ناشيونال جيوغرافيك العالمية.

وعن المنافسة بين الهواتف الذكية والكاميرات الرقمية، يقول الحوسني "الهواتف الذكية تنافس الكاميرات وبقوة فجودتها عالية، ولكن تبقى بعض الفروقات من حيث الدقة والطباعة خاصة للمصوّرين المحترفين، فالهاتف بالنسبة إلي أستخدمه للصور التي أشاركها في مواقع التواصل أكثر".

ويضيف "في ظل المنافسة وسهولة امتلاك الكاميرات التي أصبحت أسعارها في متناول الجميع بشكل لافت، توسّعت دائرة المصوّرين وهو ما أفرز أفكارا جديدة ووجهات نظر مختلفة وإبداعات مبتكرة، فمن الضروري أن يكون المصوّر مبدعا ومتنوّعا وله قراءات موسعة وثقافة بصرية مميزة".

ويؤكّد الحوسني أنه يجتهد كثيرا من أجل التصوير، فهو يخطط عادة قبل أية رحلة تصوير يقوم بها، فيسأل عن المكان أو يقرأ عنه ويعرف ما فيه من طبيعة وجو وحرف صناعية، ثم يحدّد وقت الذهاب والعودة، وكل ذلك بعيدا عمّا يمكن مصادفته من تحديات في المكان الذي ينوي الذهاب إليه، كما يعمل على التقاط الصورة في مخيلته قبل التقاطها بالكاميرا، ويوضّح "أتخيّل المكان وأشكّل رسما عنه في أفكاري التي أستوحيها من الرسم والموسيقى والألوان، إلاّ أن بعض الصور تأتي صدفة ودون تخطيط مسبق".

ويعترف الفنان العُماني أن رحلات التصوير فيها الكثير من المغامرات والمفاجآت، لكن الأهم أن يتعلم الشخص منها ويتجنب أخطاءها وأن يبقى الشغف حاضرا في كل تلك المواقف والصعاب، ويستحضر هنا حادثة وقعت له، فيقول "كنت خارجا في رحلة لتصوير الصقيع في وقت الليل في جبل الثرى، وكان الجو باردا جدا، حيث وصلت الحرارة إلى ست درجات تحت الصفر، ولم يكن هناك صقيع في ذلك اليوم، وعدت دون تصوير أي شيء وهذه واحدة من التحديات التي يمكن مصادفتها مع الطبيعة خاصة".

ويعشق الحوسني إلى جانب التصوير الفوتوغرافي الرياضة وتسلق الجبال، إلاّ أن التصوير يأخذ جزءا كبيرا من حياته، ويراه ملجأً للهروب من الضغوطات والأعمال، وأن فيه راحة نفسية له يفرّغ من خلاله طاقاته ليجدها فرصة لاكتشاف عُمان.

أحمد الحوسني

ألتقط الصورة في مخيلتي قبل التقاطها بالكاميرا

ويوضّح أنه لم يدرس التصوير أكاديميا، ولكنه اجتهد كثيرا حبا لهذا الفن، فقد حضر الورش الخاصة بالتصوير الفوتوغرافي واستفاد من خبرات المصوّرين وتجاربهم، فعمل على تطبيق ما يتعلمه منهم وأخذ بملاحظاتهم.

ويشير الحوسني إلى ضرورة الانضمام إلى الجمعيات الخاصة بالتصوير الفوتوغرافي، حيث يقول "إن انضمامي لجمعيات التصوير الفوتوغرافي كان ولا يزال له دور كبير في تنمية موهبتي، والمصوّر بمجرد اختلاطه بباقي المصوّرين سواء من هم أكثر خبرة منه أو أقل، سيستفيد بالضرورة ولو بشكل بسيط".

ومع تنامي تجاربه الفنية في المجال أصبح الحوسني عضوا في الاتحاد الدولي للتصوير الفوتوغرافي، وعضوا في الجمعية العمانية للتصوير الفوتوغرافي، كما حصل على لقب فنان الفياب من الاتحاد الدولي للتصوير الفوتوغرافي للعام 2017.

وحول مشروع صوارة الذي حصل الحوسني من خلاله على جائزة السلطان قابوس للعمل التطوعي، وهي أكبر جائزة في السلطنة في مجال التطوّع، قال "إنه فريق تصوير قمت بإنشائه في العام 2015 تابع لمركز رعاية الطفولة في السلطنة، وحصل الفريق على كأس العالم في ألمانيا عام 2019 تحت سن التاسعة عشر عاما، وله دور فاعل وإسهامات متميزة في خدمة المجتمع، لاسيما أنه لا يقتصر فقط على التصوير وإنما يسهم في خدمة الوطن بشكل عام".

موسم البلح والمرح